ان يذكر من اين كانت تلك العناية وبما كان اهم فانما هي الاهمية المطلقة
الشاملة ولا وجه لارادتها ههنا وجعل ما بعدها تفصيلاً لها لان العطف
بالواو ينافيه ولان الاهم هو المعمول من حيث انه اسمه تعالى وما بعده هو المعمول حيث
التقديم فكيف يصح جعله تفصيلاً له وهذا يظهر فساد جعل العطف ههنا
للتفسير مع ندرته في نفسه اعلم ان هذه الصفة وما بعدها من صيغ
افعل التفضيل قد استعملت بلا احد الاشياء الثلثة فاما ان يقال
المفضل عليه اذا علم وكان افعل خبراً جاز ذلك الاستعمال كما في الله اكبر
وقول الشاعر ان الذي سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمه اعز واطول او
يقال جردت عن معنى التفضيل واوّلت باسم الفاعل او الصفة المشبهة
كما في قوله تعالى وهو اهون عليه اذ ليس شيء اهون عليه تعالى من شيء
وادل على الاختصاص فان المشركين كانوا يبدؤن في افعالهم باسماء
آلهتهم فيقولون باسم اللات باسم العزى وكان هذا التقديم منهم لمجرد
الاهتمام الناشي من قصد التبرك والتعظيم لا للاختصاص اذ لم يكونوا
ينفون التبرك باسم الله بل كانوا يتبركون به ايضاً فوجب على الموحد
ان يقصد بعبارته قطع شركة الاصنام فيكون قصر افراد لا كما في قوله
تعالى اياك نعبد لانه قصر حقيقي لا يجري فيه الافراد والقلب والتعيين
كما تقرر في موضعه وايضاً خصوص المخاطب مانع من ذلك فتدبر وادخل
في التعظيم لظهور ان تقديم الاسم تعظيم للمسمى ووفق للوجود فاسمه
تعالى مقدم على القراءة في الوجود لتقدم مسماه على جميع الممكنات وكيف
لا يكون ذلك الاسم مقدماً عليها وقد جعل آلة لها فلما ورد عليه ان الآلية
تقتضي التبعية والابتذال فينافي التعظيم والاجلال دفعه بقوله
من حيث ان الفعل لا يعتد به شرعاً ما لم يصدر باسمه تعالى فان في الآلة
جهتين جهة التبعية وجهة توقف نفس الفعل او كماله عليها وقد لوحظ
ههنا الثانية دون الاولى لقوله عليه الصلوة والسلام كل امر ذي بال
اي شان وشرف يهتم به ولم يبدأ فيه باسم الله فهو ابتر وهو في الاصل مقطوع

الذنب

الذنب والمراد كونه ناقصاً غير معتد به وفيه رمز الى ان نقصان الاول سرى
الى الاخر قال صاحب الكشاف المشهور لم يبدأ فيه بالحمد لله نقل سلمه الله تعالى
يعني شرف الدين الطيبي عن مسند الامام ابن حنبل عن ابي هريرة لا يفتح فيه
بذكر الله اقول اخرج مرفوعاً الحافظ عبد القاهر في اربعينه وابو عوانة وابن
حبان في صحيحهما كل امر ذي بال لم يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو اجذم واخرج
الشيخ شهاب الدين في تخريج احاديث الكشاف بلفظ الابتداء فيه ببسم الله
اقطع وبالجملة لم نجد هذا اللفظ بعينه فكانه نقل المعنى واعلم ان قوله
قد جعل آلة لها اشارة الى ان الباء ههنا للاستعانة كما في كتبت بالقلم
وقيل الباء للمصاحبة والمعنى متبركاً باسم الله اقرأ لم يرد ان الباء صلة
للتبرك لاقتضاء كون الظرف لغواً الخصوص المتعلق لما مر انه لا ينافي المستقر
به بل اراد بيان ان المقصود من استعمال حرف المصاحبة فكانه قال ملتبساً باسم الله للتبرك
اقرأ وقد عرفناك سابقاً فلا تغفل وهذا القول مختار صاحب الكشاف
ورجحوه بوجوه الاول كون باء الملابسة اكثر من باء الاستعانة
الثاني ان التبرك باسم الله تعالى تأدب وتعظيم له بخلاف
جعله آلة مبتذلة غير مقصودة بذاتها الثالث ان ابتداء
المشركين باسم آلهتهم كان على وجه التبرك به فينبغي ان يرد عليهم
في ذلك الرابع ان باء المصاحبة ادل على ملابسة جميع اجزاء الفعل
باسم الله تعالى من باء الاستعانة الخامس ان التبرك باسم الله تعالى
معنى مكشوف يفهمه كل احد مميز يبتدأ به في اموره والتأويل
المذكور في كونه آلة لا يهتدي اليه الا بنظر دقيق السادس
ان كون اسم الله تعالى آلة للفعل ليس الا باعتبار انه يتوسل
اليه ببركته فقد رجع بالآخرة الى التبرك وليس في اعتبار آليته زيادة
معنى يعتد به اقول للمصنف في الاول منع الاكثرية فيهما
اثباتها وفي الثاني القول بان تلك الجهة غير ملحوظة جهة كون الفعل
غير معتد به شرعاً ما لم يصدر به كما مر وهي يعارض التبرك بل انجح منه وفي

Copyright © King Saud University